النشـــــــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٤٧ / ١٩٩٩
الأحد ٢١ تشرين الثاني

دخول سيدتنا والدة الإله
الفائقة القداسة إلى الهيكل

اللحن الثامن
إنجيل السَحَر الثالث

الـــرســـالـــة (عبرانيين ٩: ١-٧)
الإنـــجـــيـــل (لوقا ١٠ : ٣٨ - ٤٢ ؛١١: ٢٧ و ٢٨)

+ دخول السيدة إلى الهيكل

«اليوم الهيكل المتنفس، هيكل الملك العظيم تدخل إلى الهيكل، لنهيَّأ مســـكناً إلهياً، فيا أيها الشعوب ابتهجوا» (صلاة سحر العيد).

لقد طبعت الأعياد الدينية حياتنا لألوف السنين، ويبدو أننا نخسر هذا الأمـر مع مرور الزمن. رغم أن الكثيرين يذهبون إلى الكنـــائس أيـــام الأعيـــاد، إلا أن معظمهم لم يعد يعرف فحوى كل عيد واحتفال. قد تكون الأعياد لكثيرين مناســـبة لنيل قسطٍ وافر من الراحة والنوم والأكل والشرب، ولكنها لا بد أن يشعر المرء، ولو في أعماق ضميره ووعيه، إن شيئاً يفوق الوصف مشعاً يدخل حياته مع كـل

عيد، يدخله في حوار مع عالم مختلف الحقائق، ومذكراُ بأمر منسي أغرقته رتابة أيام الحياة والفراغ والسأم.

تأمل في أسماء الأعياد: الدخول إلى الهيكل، الميلاد، الظهور الإلهي، التجلّي. وحدها هذه الكلمات بجلالها وعدم ارتباطها بالحياة اليومية وبجمالها السري توقظ فيك ذاكرة منسية وتستدعي أمر ما وتشير إليه. لقد كانت الأعياد نوع من تلهُّف إلى جمال مفقود ولكنه مُغري، تلهف إلى نوع آخر من العيش.

لقد أصبح عالمنا رتيباً وبدون أعياد. حتى أن أعيادنا الزمنية غير قادرة على إخفاء رماد الحزن وعدم الرجاء، إذ ان جوهر الاحتفال هو خبرة الدخول في حقيقة مختلفة، في عالم جمال ونور روحانيين. إذا لم تتوجد هذه الحقائق، فلن يكون شيء للاحتفال به، ولن تستطيع أي محاولة مصطنعة لرفعه (للإعلاء من شأنه) في خلق العيد.

لدينا عيد دخول والدة الإله إلى الهيكل، وفحواه بسيط جداً: طفلة صغيرة (٣ سنوات) يجلبها أهلها إلى هيكل أورشليم. ليس هناك شيئاً مميزاً في هذا، لأنه، في تلك الأيام، كانت عادة مقبولة أن يجلب الأهل أولادهم إلى الهيكل علامة لوضعهم في اتصال مع الله، لإعطاء حياتهم المعنى الأسمى والهدف الأسمى، لإنارة حياتهم من الداخل بالنور الأعلى.

في هذه المناسبة، وكما نرتل في الخدمة الليتورجية، يقود يواكيم وحنة الطفلة إلى «قدس الأقداس»، إلى المكان الذي لا يسمح الدخول إليه إلا للكهنة فقط، القسم الاسراري الداخلي للهيكل. اسم الطفلة مريم وسوف تكون في المستقبل أم يسوع المسيح، الذي عبره، كما يؤمن المسيحيون، أتى الله إلى العالم ليكون مع الجنس البشري ويشاركه حياته ويكشف الفحوى الإلهي الذي للجنس البشري.

لدينا هنا هيكل ضخم رائع مهيب، مجد أورشليم. ولقرون طويلة كان هذا الهيكل، وراء تلك الحيطان السميكة، هو المكان الذي يأتي إليه الإنسان ليلاقي الله ويتصل به. الآن الكاهن يقود مريم بيدها إلى قدس مكان في الهيكل، ونحن نرنم «إن الهيكل الكلّي النقاوة هيكل المخلص البتول الخدر الجزيل الثمن... اليوم تُدخل إلى بيت الرب...» (قنداق العيد). لاحقاً في الأناجيل يقول يسوع: «انقضوا هذا الهيكل وفي ثلاثة أيام أقيمه» ويضيف الإنجيلي: «وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده» (يوحنا ٢: ١٩و٢٠).

معنى هذه الكلمات والأحداث بسيط: من الآن وصـــاعداً يصـير الإنســان هيكلاً. لا هيكل حجري ولا مذبح، لكن الإنسان نفسه وروحـــه وحياتـــه هـــو القلب العالم المقدس والإلهي، إنه «قدس الأقداس». أحـــد الـــهياكل مريـــم حيـــة وبشرية تُقاد إلى هيكل مصنوع من حجر، ومن داخله تقوده إلى كمـــال معنـــاه ورمزيته.

مع هذا الحدث صارت نقلة نوعية في الدين، وفي الحياة أكثر مما يدخـــل العالم الآن هو تعليم لا يضع شيئاً أعلى من الإنسان، لأن الله نفسه يأخذ شـــكلاً بشرياً ليُظهر دعوة الإنسان ومعناه الإلهي. من الآن وصـــاعداً الإنســـان حـــر, لا شيء يقف فوقه، لأن العالم هو هبة من الله لتحقيق قدره الإلهي.

من اللحظة التي دخلت فيها مريم العذراء «قدس الأقداس»، صارت الحيـــاة هيكلاً. وعندما نحتفل بدخولها إلى الهيكل، نحتفل بدخول الإنسان المعنـــى الإلـــهي وبريق دعوته الإلهية. لا يمكن تناسي هذا الأمر ومحوه من ذاكرة البشرية.

وعت الكنيسة أهمية مريم في مخطط الله لخـــلاص البشـــر، وفـــهمت أن دخولها إلى الهيكل هو بداية تجسد الخلاص. لهذا فقد رتب آباء الكنيسة أن نرتـل في صلاة سحر العيد كاطافسيات الميلاد: «المسيح ولد فمجدوه، المسيح أتى مـــن السموات فاستقبلوه... إنني أشاهد سراً عجيباً مستغرباً المغارة سماءً، والبتول عرشاً شاروبيمياً والمزود محلاً شريفاً الذي اتكأ فيه المسيح الإله...». وكأننا منـــذ الآن بدأنا بالدخول في سر تجسد ابن الله. إن الليتورجيا سلسلة مترابطة الحلقات، كـــل عيد يهيء الطريق لآخر، والآخر يهيء لعيد آخر.

لقد دخلنا منذ أسبوع في صوم الميلاد واليوم مع عيد دخول السيدة إلـــى الهيكل ندخل في صلوات الميلاد، فنتهيأ منذ الآن لاستقبال ملك الكل، ونجهز لـــه مسكناً في قلوبنا، ونكون من أبناء الملكوت.

(الأب ألكسندر شميمان)

+ الشهيدة كاترينا

تعيِّد الكنيسة المقدسة في الخامس والعشرين مـــن تشـــرين الثـــاني لتذكـــار القديسة العظيمة في الشهيدات كاترينا الكلِّية الحكمة، التي «بقـــوة الـــروح أفحمـــت نبلاء المنافقين ببهاء»، وأسكتت أعظم حكماء عصرها بفضل الحكمة التي وهبـــها

إياها نبع الحكمة الرب يسوع، ولم تتوانَ عن بذل جسدها ذبيحة في سبيل المسيح.

وُلدت القديسة كاترينا في أواخر القرن الثالث الميلادي في مدينة الاسكندرية في مصر، من عائلة نبيلة وغنية. وقد حازت الذكاء الخارق إلى جانب الجمال الفائق. درست على أيدي أفضل المعلمين والفلاسفة فبرعت في العلوم والفلسفة واللغات والبلاغة والشعر, تعرفت على الطب ولم تكن تجاوزت العشرين من عمرها. وقد أثارت سمعتها الكبيرة وجمالها وغناها ونبلها حسد الكثيرين.

تقدم الكثيرون من الشبان لخطبتها لكنها لم تقبل رغم ضغوط أهلها إذ كانت تدرك في داخلها عظمة البتولية، فوضعت شرطاً للرجل الذي يرغب بها زوجة أن يكون يساويها نبلاً وغنى وجمالاً وعلماً. بعدما يئست أمها من إيجاد هكذا شخص أرسلت ابنتها إلى ناسك شيخ مسيحي ليرشدها لعلها تتعقل. ولما أتت كاترينا إلى الناسك قال لها أنه يعرف شخصاً يتحلى بكل الصفات التي تطلبها وإنه أعظم العلماء ويمتلك الحكمة منذ الأزل ولم يكتسبها اكتساباً، بل هو مصدر الحكمة، إنه ابن الله المتجسد يسوع المسيح. وهو يلتمس العروس، وعروسه النفس البتول. قال لها الناسك هذا وصرفها بعد أن أعطاها أيقونة والدة الإله حاملة الطفل يسوع.

ذهبت كاترينا إلى بيتها متفكرة في كلام الشيخ ومتأملة فيه. في الليل تراءت لها والدة الإله لكن الرب يسوع لم يشأ النظر إليها قائلاً أنها بشعة ملوثة النفس بالخطيئة. عادت في اليوم التالي إلى الناسك تسأله تفسيراً، فعلَّمها الإيمان والأسرار المقدسة واقتبلت منه سر العماد المقدس. وفي نفس الليلة تراءت العذراء لها من جديد وقال لها الرب يسوع: «ها هي الآن كاترينا مشرقة، جميلة، غنية ومزدانة بالحكمة والحق الآن أقبلها عروساً نقية». ثم وضعت والدة الإله خاتماً في أصبع كاترينا متممة الخطبة السماوية، وتعهدت كاترينا بعدم الزواج.

ولما حدث اضطهاد الإمبراطور مكسيميانوس (٣٠٥٣١١) الذي أراد إلزام كل الشعب تقديم الذبائح للأوثان. وقفت كاترينا أمام الإمبراطور، وشرعت تظهر له بالمنطق أن لا وجود للأوثان وإنه لا يوجد إلا إله واحد هو أصل الموجودات كلها. وطلبت منه أن يجمع حكماءه لتحاورهم. قبل الإمبراطور عرضها وحدد موعدا للقاء. وفي ليلة اللقاء ظهر لها الملاك ميخائيل مؤكدا لها أن الرب سيتكلم بفمها. حضر الاجتماع مئة وخمسون حكيما، فأظهرت كاترينا أخطاءهم

ودحضت جميع أقوالهم، وإن العالم خُلق من العدم بكلمة الله الوحيد. وقد استعملت في حججها أقوال الكهنة الوثنيين لتثبيت تجسد وآلام ابن الله. وفي نهاية الاجتماع أعلن الفلاسفة إيمانهم بالرب يسوع مما أثار غضب الملك الذي أمر بإحراقهم في ١٧ تشرين الثاني.

حاول الملك إقناعها بالإغراءات لكنه لم يفلح، فأمر بسجنها. وفي السجن زارتها زوجة الملك مع رئيس الجند بورفيريوس وعدد من الجنود، فآمنوا جميعهم وكان نصيبهم جميعاً الاستشهاد. وأخيراً لما لم تفلح محاولاته مع كاترينا أمر بتعذيبها عبر دولاب مسنن بالشفرات. لكن الدولاب تكسر عندما اقترب من جسد كاترينا، عندها أمر الملك بقطع رأسها، وهكذا كان في ٢٥ تشرين الثاني. ويروي التقليد أن ملاكان حملا جسدها إلى جبل سيناء حيث اكتشفها ناسك يعيش في المنطقة، وشيد في هذا المكان دير على اسمها وُضعت فيه رفاتها التي ما زالت تفيض الطيب إلى اليوم. فبشفاعتها اللهم ارحمنا وخلصنا آمين.

+ تأمل

إذ كنت بعد مبتدئاً شاباً، وقفت مرّة مصلّيا أما أيقونه والدة الإله، فاخترقت " صلاة يسوع " قلبي، وصارت تتردَّد فيّ بدون أي جهد منّي.

ذات يوم، كنت أسمع في الكنيسة قراءة من سفر الأنبياء، من أشعياء، قائلاً: "اغتسلوا تنقّوا" (١٩:١)، وأتاني الفكر: " أَمِنَ الممكن أن تكون والدة الإله أخطأت مرّة، ولو في الفكر؟" " ويا للعجب المدهش، في داخل قلبي مع الصلاة سمعت صوتاً قائلاً بوضوح: " إن والدة الإله لم تخطىء أبداً، حتى في الفكر". هكذا شهر الروح القدس لطهارتها في قلبي. لكنها في حياتها على الأرض، حملت أيضاً نوعاً من الهشاشة وعدم الملْ وكانت عرضة لخطأ، لكن ليس للخطيئة. بإمكاننا أن نرى في الإنجيل أنها لم تعرف أين كان ابنها أن كانت عائدة من أورشليم، فذهبت تبحث عنه مع يوسف مدة ثلاثة أيام (لو: ٤٤-٤٦).

إن نفسي تسكن في الخشية والوجل إذ أفكر في مجد والدة الإله.

إن إدراكي منقوص، وقلبي تاعس ضعيف، أما روحي ففي التهليل وترغب في أن تخط، ولو كلمات قليلة، بشأنها.

نفسي تخشى مشروعاً كهذا، لكن الحب يدفعني كي لا أخفي امتناني لفائق رحمتها عليَّ.

إن والدة الإله لم تكتب فكرها ولا حبّها لابنها وإلهها ولا آلام روحها لحظة الصلب، لأنه لم يكن بإمكاننا فهم ذلك على أية حال. إن حبّها للإله أقوى بكثير وأشد اضطراماً من حب السيرافيم والشيروبيم وكل القوّات السماويّة، وإن الملائكة ورؤساء الملائكة متحيّرون عجباً لهذا الحب.

رغم أن حياة والدة الإله محتجبة بصمت مقدّس، فإن سيّد كنيستنا الأرثوذكسيّة قد أعطانا رغم ذلك، أن نعرف بأن حبّه يشمل كل الكون، وأنه بالروح القدس أعطى والدته، والدة الإله، وأن ترى كل شعوب الأرض، وأن تحمل مثل ابنها الشفقة لأجلهم.

ليس باستطاعتنا إدراك مدى حب الكليّة القداسة لأولئك الذين يحفظون وصايا المسيح، وكم تشفق هي وتتألم لأجل الذين لا يصحّحون مسيرتهم. وإني أنا قد قمت بهذه التجربة. صدّقوني، فإني لا أكذب، بل أتكلم أمام وجه السيّد الذي تعرفه روحي: إني بالروح القدس أعرف العذراء الكليّة النقاوة. لم أشاهدها, لكن الروح القدس أعطاني معرفتها والتعرّف إليها ومعرفة حبّها لنا. فبدون رحمتها كنت هلكت منذ زمن بعيد، لكنها ارتضت أن تزورني وأن تنصحني بعدم الرجوع الى الخطيئة وقالت لي: " إني لا أحب رؤية ما تعمل". وكانت كلماتها هادئة عذبة، لكنّها فعلت في روحي بقوّة. ولقد مرّ أكثر من أربعين سنة على هذا الحدث، لكن نفسي لن تنسى كلماتها المملوءة عذوبة... إني لا أعرف ما بإمكاني أن أعطي مقابل حبّ الرب لي وكيف أشكر والدة الإله.

إن والدة الإله هي بالحقيقة المحامية عنّا أمام الله، وان لفظ اسمها يكفي لكي يفرّح النفس، وكل السموات وكل الأرض يتهلَّلان لحبّها.

عجب لا يصدق ولا يفهم أن والدة الإله تحيا في السموات، تتأمل باستمرار مجد الله، ومع هذا لا تنسانا نحن الأشقياء، بل تغمرنا بحمايتها وكل شعوب الأرض أيضاً!

إن السيّد قدّم لنا هديّة. أعطانا والدته الكليّة القداسة. هذا عطاؤه لنا، فهي فرحنا وأملنا، وهي أمّنا بحسب الروح، وهي قريبة منّا بالطبيعة، بحسب الجسد كإنسان، وكل نفس مسيحيّة تتشدُّ إليها.

القديس سلوان الآثوسي